

إن رجل الإمام الخمينيِّ فكلنا خمينيِّون



كانت الدنيا تهجم عليه، وكانت القوى الشيطانية تتحداه ليخاف، ليسقط، ليتراجع، ليتنازل عن كل كلمة من كلماته، كانوا يريدونه أن يخاف، ولكنّه لم يكن يتطالع إلى كل هؤلاء. كان في صلاته وفي ابتهالاته وفي خشوعه بين يدي الله، قد عاهد الله أن يكون عبده ولا يكون عبداً لغيره. تاريخ النشر: الثلاثاء ٥ يونيو ٢٠١٨ الساعة ٠١:٠٠ كود الموضوع: 334986

إن رجل الإمام الخمينيِّ فكلنا خمينيِّون وألقى سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله خطبة صلاة الجمعة، من على منبر مسجد الإمام الرضا (ع) في بئر العبد، بتاريخ: 30/10/1409 هـ/ الموافق: 4 حزيران 1989م، بحضور حشدٍ من المؤمنين، ومما جاء فيها:

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}.

مصلحة في أن يربط هذه العلاقة بهذا الجانب أو يقطع تلك العلاقة بذلك الجانب؟

عندما تجلس إليه ليحدِّثك بكلماته القصيرة، كنت تجد وكنّا نجد أنّ كلمة الله وكلمة الإسلام تنطلق لتكون بداية حديثة، ولتكون حركة حديثة، ولتكون نهاية حديثه، لأنّ قلبه وروحه وعقله وكلّ طاقاته كانت للإسلام. لهذا هل تريدون أن تعيشوا معه وأن يبقى معكم؟ هل تريدون الوفاء لمسيرته؟ هل تريدون أن تتحرّروا في عاطفتكم من خلال كلّ حياته؟

أخلصوا للإسلام، واعملوا للإسلام، والتزموا بالإسلام، ولا تخافوا من أحد، أيّ أحد، أن يتهمكم بأيّ تهمةٍ إذا التزمتم بالإسلام. إنّ الكثيرين يريدون أن يعقّدونا فيما نطرح من كلمة الإسلام ومن شعار الإسلام، لنسحب الإسلام من شعاراتنا حتى يرضى الآخرون عنّا، ولنبتعد عن الإسلام في مواقفنا حتى يقترب الآخرون إلينا. إنّنا تعلّمنا منه، وقد تعلّم من القرآن، وقد تعلّم من رسول الله (ص)، أن يكون الإسلام كلّ حياتنا وكلّ دعوتنا.

حمل أمانة الإسلام

وهكذا، إنّنا لا نزال نعيش حرارة المصاب والفاجرة في كلّ قلوبنا الحرّ، وفي كلّ عيوننا العبرى، ولا نزال نشعر بأنّ الأمانة التي وضعها في أعناقنا كبيرة كبيرة، وثقيلة ثقيلة. لقد حمل أمانة رسول الله (ص)، وهي الإسلام، على كتفيه مدّةً تزيد عن ربع قرن في خطّ الجهاد، وكان قد حملها مدّةً تزيد عن نصف قرن في خطّ الفكر والتخطيط. لقد حمل الأمانة لأنّه عرف أنّ رسول الله (ص) يحمّل الأمانة للعلماء بالعلماء، العارفين به، لأنّه كان يقول وهو يؤكّد ولاية الفقيه العادل: "العلماء ورثة الأنبياء" [3].

وكان يقول لكلّ العلماء الذين ينسحبون من مسؤوليّة الحياة، ومن مسؤوليّة الجهاد، ومن مسؤوليّة المواجهة، إنّ معنى أن تراثوا الأنبياء، أن تراثوا كلّ الأنبياء، أن تراثوا كلّ فكر الأنبياء، وكلّ حركة الأنبياء، وكلّ جهاد الأنبياء، وكلّ تضحية الأنبياء، أن تعيشوا للناس كلّهم، كما عاش الأنبياء والناس كلّهم، وأن تعيشوا آلام الناس كما عاش الأنبياء آلام الناس. ليس معنى أن تراث الأنبياء أن تراثهم في علومهم التي بثّوها، بل في حركة هذه العلوم في حياة الناس، حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الشيطان هي السفلى.

كان يشعر بأنّ العلماء أمناء الرّسل، كما ورد عن رسول الله(ص)، وكان يسمع الحديث الشّريف: "الفقهاء أمناء الرّسل ما لم يدخلوا في الدّنيا"، قيل: يا رسول الله، ما دخولهم في الدّنيا؟ قال: "اتباع السّلطان..." [4].

كان يشعر بأنّ على العلماء العارفين بما لا يتّبعوا السّلطان الجائر، وأن لا يتّبعوا السّلطان المنحرف، وأن يعملوا على أن يكون الإسلام هو السّلطان، وأن تكون القيادة الإسلاميّة هي القيادة الّتي تتحرّك من أجل أن تحرّك السّلطة في خطّ الإسلام.

كان يفكّر بهذه الطّريقة، ولذلك كان يشعر بأنّ الإسلام أمانة؛ ليس أمانة في عنق العلماء فحسب، ولكنّه أمانة في عنق المسلمين أيضاً؛ لنحمي ذكر الإسلام، ونحمي شريعة الإسلام، ونحمي خطّ الإسلام، ونحمي منهج الإسلام.

الإسلام دعوة إلى العالم

ولهذا وقف في آخر حياته ليتوهّج، وليبرز إلى العالم كلاًّ في ثورة جديدة منطلقة في اتجاه آخر.. كانت أوروبا تقترب من إيران من أجل أن تحتويها، وكانت أميركا تغازل إيران من أجل أن تقترب منها، وكان العالم يقول إنّ إيران تحركت من أجل أن ينطلق الخطّ الليبراليّ في مواجهة الخطّ المتطرّف، وكانت مسألة سلمان رشدي؛ كان يتحرّك الاحتجاج على كتابه في دوائر صغيرة، تظاهرة هنا وتظاهرة هناك، ولم يكن سلمان رشدي بدعاً من المرتدّين، ولم يكن بدعاً من الناس الّذين يصرون الكتب ضدّ الإسلام وضدّ نبيّ الإسلام، ولكنّ سلمان رشدي، فيما دعاه الإمام (رحمه الله ورضي الله عنه)، كان رمزاً لخطةٍ تتحرّك في العالم المستكبر أجل أن تفسح المجال لمواجهة الإسلام في الصّميم، لكي ينطلق العالم المستكبر ليقول إنّ الحرية الفكرية تفرض علينا أن نسمح لكلّ الكتّاب بأن يهاجموا نبيّ الإسلام، وأن يسبّوه، وأن يشتموه، وأن يتحدّثوا عنه بطريقة سيّئة.

وتحرّكت المسألة تحت مظلة حريّة الفكر هنا وحريّة الفكر هناك، ووقف الإمام بوعيه، وكانت وقفاتة تنطلق من إلهامٍ روحيٍّ يدرس فيه السّاحة ثم يعمل على أساس أن يحركها ويفجّرها، وأصدر فتواه

التاريخية التي تحدّس فيها كلّ القوانين الأوروبية وغير الأوروبية، والتي كانت تقول إنّ قيادة الإسلام عندما تصدر حكماً، فإنّ الحدود لا تقف أمامها، وإنّ الحواجز الرسمية لا تقف أمامها، وإنّ كلّ ذلك لا يقف أمامها. أصدر فتواه "فليقتل هذا المرتد"، ليكون عبرةً لكلّ الذين يتحركون بهذه الطريقة، وأصدر فتواه، فليقتل كلّ الذين يحركون هذا الخطّ في مجال النّشر والتوزيع.. ووقف العالم، وانطلقت التّهاويل، وانطلقت الضّغوط، وخاف بعض النّاس على إيران، وخاف بعض النّاس على المسيرة الإسلاميّة، وانطلق أصحاب الجلالة والفخامة والسّموم والسيادة يتحدّسون بطريقة محرّجة، لأنهم يريدون أن يواجهوا شعوبهم الإسلاميّة من جهة، ويريدون أن يواجهوا أسيادهم في الغرب من جهةٍ أخرى، وبقي الإمام يتحدّس إلى الأمّة، لم يكن يتحدّس بطريقة رسميّة، بل بطريقة إسلاميّة يخاطب فيها الأمة كلّ الأمّة، بعيداً عن كلّ الحواجز المذهبية التي يتحرك فيها الناس.

واستطاع أن يصنع ثورةً جديدةً أعادت الرّوح إلى المسلمين في العالم كلّّه، واستطاعت في النّهاية أن تجعل المستكبرين يضعفون ويتراجعون. لقد كان يرى أنّ من واجب العلماء المسلمين، ومن واجب الأمّة الإسلاميّة كلّها، أن تحافظ على الإسلام، وأن تحمي الإسلام الفكر والشّريعة والخطّ والمنهج.

ثم انطلق إلى المسلمين وإلى حياهم، وإلى المستضعفين وإلى حياهم، ليواجه العالم، لأنّه كان يشعر بأنّ الإسلام ليس حالة وطنيّة أو قوميّة، إنّ الإسلام هو دعوة إلى العالم، ولذلك كان يفكّر في حجم العالم.

الرّسول القدوة والنّهج

كان يفكّر في مسألة الحريّة في حجم العالم، وكان يفكّر في مسألة العدالة في حجم العالم، وعندما كانت الضّغوط تشتدّ عليه من هنا وهناك، كان يفكّر: لو كان رسول الله موجوداً الآن فماذا يصنع؟ لو كان رسول الله موجوداً الآن فكيف يتكلّم؟ لو كان رسول الله موجوداً الآن فكيف يتحرّك؟

كان يستلهم مواقف رسول الله لتحرّك مواقفهم في خطّ كلماته، وكان يستوحى كلمات رسول الله لتحرّك كلماته في خطّ كلماته، واستطاع أن يبعث الثّورة في قلوب المسلمين كلّهم، وأن يقف المسلمون ليفهموا أنّ كلمة لا إله إلا الله لا تعني كلمة دينيّة يختنق فيها المسلمون، ولكنّها تعني كلمة شاملة يعيش فيها المسلم العبوديّة وحده، والحريّة أمام العالم كلّّه، واستطاع أن يجد

حريّتنا، واستطاع أن يجدّد تطلّعاتنا للمسؤوليّة في الحياة، واستطاع أن يجدّد حركة الإسلام في حياتنا، واستطاع أن يبعث فينا القوّة عندما كنا الضّعفاء الّذين يتخطّفنا النّاس في كلّ مكان.

واستطاع أن يقول لنا إنّّ عليكم أن تحاربوا الاستكبار العالميّ في الدّاخل كما تحاربونه في الخارج، وإنّّ الاستكبار ينفذ إلى الدّاخل من أجل أن يحاربكم في داخل حياتكم الإسلاميّة، حتى تتراجعوا أمامه في الدّاخل، فيسهل عليه أن يطوّقكم في الخارج.

ولذلك خاض الحرب مع المنافقين ومع عملاء الاستكبار، وخاض الحرب مع الاستكبار كلّّه، وهو يخطّط لاستكمال الحرب، ويريدنا أن نكون جيل الإسلام الثّالث، وكان يريدنا أن نكون جيل الإسلام الحرّ، وجيل الإسلام القويّ الّذي يستمدّ القوّة من الله، والّذي يتحرّك من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا.

وعليّنا، وقلوبنا تعتمر من الحزن الآن، وعيوننا تنزف دماً ودموعاً، أن نمسك الأمانة كما أمسكها، وأن ننطلق في الدّرب كما انطلق فيه، وأن نكمل المسيرة التي بدأها، لأنّها مسيرة الأنبياء.

كان لا يخشى في الله لومة لائم، وعليّنا أن لا نخشى في الله لومة لائم، كان لا يخاف من كلّ الهجمات الإعلاميّة والسياسيّة والأمنيّة عليه، وعليّنا أن لا نخاف من الهجمات الإعلاميّة والسياسيّة والأمنيّة، عليّنا أن نتحرّك على أساس أنّنا جيل الإسلام، فإذا سقطت قافلة، فستنطلق قافلة أخرى أمامها حتى تكمل طريقها، وإذا غاب عنّا قائد، فسيقبض الله لنا القيادات التي تحمل المسؤوليّة وتحمل الرّاية.

الانطلاق في خطّ المواجهة

لقد كان الإمام الخميني المسلم الواعي، فكونوا المسلمين الواعين، وقد كان المسلم التّقي، فكونوا المسلمين الأتقياء، وقد كان المسلم العادل، فكونوا المسلمين العادلين، وقد كان المسلم الصّادق فكونوا المسلمين الصّادقين، وقد كان المسلم الحرّ فكونوا المسلمين الأحرار، وقد كان المسلم العزيز بالله، فكونوا المسلمين الأعزّاء بالله.

كان يريد للمسلمين أن يشعروا بأصالتهم الإسلاميّة، وأن يفتحوا على غيرهم من موقع الإسلام، لا من

مواقع غيره، وكان يريد للمسلمين عندما يدخلون في حسابات التكتيك، أن لا يشغلهم التكتيك عن الاستراتيجية، وأن يظل الإسلام في قواعده هو الأساس في ذلك كله.

لقد كان الثائر الصّلب في وجه الاستكبار العالمي، فكونوا الثّائرين الصّلبين في وجه الصّهيونية، كان الثّائر في وجه التخلّف والجهل وفي وجه كلّ الطّلم الداخلي، فكونوا الثّائرين في هذا الطّريق. هل ذهب من بيننا؟ لم يذهب، كان جسده للنّاس الذين حولته، لكن خطّه ورسالته كانا للأمة كلّها، وللأجيال كلّها. لقد انطلق من موقع الإسلام، وعلينا أن ننتقل من حيث انطلق.

ونقول لكلّ الذين خطّطوا في الغرب وفي الشّرق، وفي داخل لبنان وخارجه، ولكلّ الذين يخطّطون لمرحلة ما بعد الخميني كما يقولون، ليضعفوا الثّورة، وليضعفوا الحركة الإسلاميّة، وليقصوا عليها، وليحاصروها، على أساس أن القائد إذا ذهب فستسقط الأمّة من بعده، وأنّ القائد عندما يذهب من المعركة فسيترك الجنود من المعركة. إنّنا نقول لكلّ هؤلاء: إنّنا نعرف أنه كان قوّة لنا، وكنا نستظلّ به، وأنّه كان المرشد لنا، وكذا نتحرّك من خلال إرشاده، ولكن إذا غاب الإمام الخميني، وهو الكبير الكبير، وهو الشّخصيّة التاريخيّة الإسلاميّة المميّزة، إذا غاب الإمام الخميني من بيننا، فقد ترك في شخصيّة كلّ واحد من الأمّة جزءاً من ذاته، وجزءاً من خطّه، وجزءاً من فكره.

السّير في خطّ الخميني

إذا كان الخميني واحداً في حياته، فكلّنا خمينيون بعد وفاته، لسنا خمينيين بمعنى الذات، فنحن لا نرتبط بالذّات، ولكننا خمينيون بمعنى النّهج وبمعنى الخطّ، وبمعنى الثّورة وبمعنى القيادة التي تتحرّك في خطّ الإسلام. لقد أصبحت الأمّة تمثّله في تطلّعاتها وفي خطّها، ولذلك فإنّنا نريد أن نقول لكلّ الأخوة، نقولها لأخوتنا المجاهدين في إيران في مواقع القيادة، وفي مواقع القاعدة، ولأخواتنا وأبنائنا المجاهدين في لبنان، في موقع القيادة وفي موقع القاعدة، ونقول لكلّ إخواننا المسلمين في العالم كلّهم، إنّ علينا أن نستعدّ كأعلى ما يكون الاستعداد، وإنّ علينا أن نكون الواعين كأعلى ما تكون درجات الوعي، لا تسقطكم الدّموع، ولا تسقطكم الأحزان، ولا تتراجعوا، ولا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [5].

إننا قد نواجه مرحلةً صعبةً يتحرّك فيها الكفر كلّهُ والاستكبار كلّهُ من أجل أن يستغلّ فرحة الحزن التي قد توحى بالضّعف، وفرحة الدّموع التي قد توحى بالمأساة وبالسّقوط، من أجل أن يدخل في صفوفنا بطريقةً وبأخرى، قد يستغلّ ذلك من أجل أن يفرض علينا فتناً ومعارك في الدّاخل، وقد يستغلّ كثيراً من المنهزمين ومن المضلّين، لكن علينا أن ننطلق لأننا في خطّ المواجهة، على أساس أن المرحلة الآن أصعب، وأن المرحلة الآن أقسى.

لقد قال شخص عندما قيل في "أُحد": لقد مات محمد، قال: من كان يعبد محمّداً، فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد ربّ محمّد، فإنّ ربّ محمّد لم يمّت، فتعالوا نقاتل على ما قاتل عليه، ونسير على ما سار عليه.

إذا كان النّاس الذين آمنوا بقيادة الإمام - رحمه الله - التزموا بشخصه، فقد ذهب شخصه، وإذا كان النّاس - وكلّنا هؤلاء النّاس - قد التزموا برسالته التي هي رسالة الإسلام، وبنهجه الّذي هو نهج الإسلام، فتعالوا نلتزم ما التزمه، وتعالوا نسير على ما سار عليه، وتعالوا نجاهد فيما جاهد به. لقد عاش للإسلام، فلنعش جميعاً للإسلام، ولقد مات في سبيل الإسلام، فلنمّت في سبيل الإسلام.

لم يكن شهيداً يسقط في المعركة من خلال دمائه، ولكنّه كان شهيد الإسلام في كلّ المعركة، كان شهيداً مع كلّ الشّهداء، وكان جريحاً مع كلّ المجروحين، وكان مشرّداً مع كلّ المشرّدين، وكان معذّباً مع كلّ المعذّبين، لأنّه كان يحمل همّ كلّ هؤلاء، ولذلك إننا نقول له: لقد انتقلت إلى جوار ربّك، ونحن نشعر الآن بالخسارة كلّ الخسارة، كنّا ننظر إلى عينيك وهما تلمعان بالقوّة، فنستمدّ من نورهما نوراً للطريق المظلم، وكنّا نستمع إلى كلماتك وهي تمنحنا الوعي، فكنّا نتحرّك في خطّ الوعي الّذي تعطيه الكلمات.

كنّا نحسّ بالأنس بك في كلّ وحشة الزّمان، وكنّا نحسّ بالحبّ لك في كلّ حالات البعد، كنّا نعيش معك حتى وأنت بعيد عنا، كنت أبانا، كنت قائداً، كنت الإمام الّذي نتّبع خطواته، كنت الرّوح التي نزداد فيها روحاً، كنت القلب الكبير الّذي يتحرّك حتى يعطي قلوبنا اطمئناناً، كنت الكثير، لقد أتعبت من بعدك، ولكننا يا أبا مصطفى، ولكننا يا إمام الأمّة، نقف أمام مصابك لنقول كما قال رسول الله (ص) عندما وقف أمام جسد ولده إبراهيم: "تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما لا يرضي الربّ" [6]، وإنّنا لفقدك يا إمام الأمّة لمحزونون، نحزن، ولكنّ حزننا لن يسقطنا، ونبكي، ولكنّ بكاءنا لن يهزمننا؛ نحزن حزن الثّورة، ونبكي بكاء الثّورة، رضاً بقضاء الله وقدره.

اللَّهُمَّ - إِنَّا نَعْرِفُ أَنْ نَعْرِفَ الْخَيْرَ الَّذِي لَا نَعْرِفُهُ، وَتَنْطَلِقُ مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي لَا نَعْرِفُهَا. رَضًا بِقَضَائِكَ، وَتَسْلِيمًا لِأَمْرِكَ، أَعِزَّنَا يَا رَبُّ عَلَى أَنْ نَوَاصِلَ الطَّرِيقِ بَعْدَهُ، أَعِزَّنَا يَا رَبُّ عَلَى أَنْ نَخْلَصَ لِلْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِهِ، أَعِزَّنَا يَا رَبُّ عَلَى أَنْ نَكُونَ الْمُؤَدِّينَ فِي خَطِّهِ، أَعِزَّنَا يَا رَبُّ عَلَى أَنْ نَكُونَ السَّائِرِينَ فِي دَرَبِهِ، أَعِزَّنَا يَا رَبُّ عَلَى أَنْ نَكُونَ فِي سَبِيلِ الصَّالِحِينَ، اجْعَلْنَا يَا رَبُّ مِنْ صَالِحٍ مِنْ بَقِي، خذْنَا سَبِيلَ الصَّالِحِينَ.

أذهب إلى جوار ربك مع النبيين والمصدقين والشهداء، وحسن أوليك رفيقاً، إِنَّا نَعطيك عهداً وعهد الرسول وعهد الأئمة (ع) وعهد الإسلام كله، بأَنَّنا سنظلُّ في خطِّ السَّيرِ الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ، سننطلق في مواجهة كلِّ التحدِّيات، حتى لو جرحونا، حتى لو شرَّدونا، حتى لو سبونا، حتى لو انطلق العالم كله ضدَّنا، سنبقى معك مع فكرك، سنبقى معك مع خطِّك، سنبقى معك مع ثورتك، سنبقى ونبقى ونبقى، حتى نلحق بك عند مجاهدين أو شهداء، سنبقى في هذا الخطِّ رَضًا بِقَضَائِكَ وتَسْلِيمًا بِقَضَائِكَ.

أيُّها المؤمنون، أيُّها المسلمون، أيُّها الأحرار، أيُّها العاملون في سبيلِنا، لقد دقَّت ساعة العمل ولا مجال للاسترخاء، لقد دقَّت ساعة الجهاد ولا مجال للهروب، فتعالوا نقاتل على ما قاتل عليه، ونتحرَّك فيما تحرَّك به. نسألُنا أن يرفع درجته في عليِّين، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.